

شباب العراق: من الهدر الى الاستثمار

2020-02-27 شبكة النبا

التنمية هي العمود الفقري للتطور الشامل، والمجتمعات التي تدرّجت في بلوغها القمم، وضعت التنمية في أعلى أولوياتها، على أن يستمر التركيز على التنمية البشرية التي عدّها تقرير متخصص للأمم المتحدة بأنها: (نموذج هام من نماذج التنمية والتي من خلالها يمكن لجميع الأشخاص من توسيع نطاق قدراتهم البشرية إلى أقصى حد ممكن وتوظيفها أفضل توظيف في جميع الميادين).

وهناك علامات أو مؤشرات تؤكد فاعلية التنمية أو تنفيها، حيث تُظهر التنمية بوضوح الفارق بين الدخل ورفاهية الإنسان، من خلال قياس معدل الإنجازات في مجالات الصحة والتعليم والدخل، ويعطي دليل التنمية في بلد ما صورة أكثر وضوحاً لحالة مجتمع ورفاهيته من الصورة التي يعطيها الدخل وحده.

فالتنمية البشرية مبنية في المقام الأول على إتاحة الفرصة للمواطن، بأن يعيش نوع الحياة التي يختارها ومزاولة العمل المناسب له، وعلى تزويد المواطنين بالأدوات المناسبة والفرص المواتية للوصول إلى تلك الخيارات التي يجدون فيها أنفسهم ومواهبهم وتطلعاتهم.

من ناحية أخرى، يُطلق مصطلح الشباب (ويسمى الشاب فتى والشابة فتاة) على مرحلة عمرية هي ذروة القوة والحيوية والنشاط بين جميع مراحل العمر لدى البشر، وتختلف تلك المراحل العمرية لدى بقية الكائنات الأخرى، حيث أن معدل النضج عند الفرد قد لا يتوافق مع عمره الزمني، والأفراد غير الناضجين يمكن أن يتوفروا في جميع الفئات العمرية، ولكن بشكل عام تبقى مرحلة الشباب هي الأكثر حيوية في حياة الإنسان.

المجتمعات المتقدمة تركّز على التوأمة بين التنمية والشباب، وتستحدث كل الآليات لجعل مواهب وطاقات الشباب مدعمة بكل الوسائل التنموية التي تستخلص منها ذروة النتائج الجيدة لصالح وفد المجتمع بالجديد المتغير من الطاقات بمختلف أنواعها ومضامينها ومجالاتها، لذلك ليس من السهل

الاصءى لهءه المهمه؁ فالأمر ىءطلب ءءطىء علمى ءاء ونوعى؁ وءنفىء لا ىقبل ءءلكؤ؁ وهءا مءءاء لاسءناهض ءهوء النءب ءافة ءى ءشارك بءءىة من ءون ءعب أو ءءمر ءءاه الصعوباء ءءىرة الءى ءء ىواءهها المعنىون وهم ىسعون بءوءة لءطوور مهاراء الشءاب.

سماءه المرءع ءءىنى ءءبىر؁ آىة الله العظمى؁ السىء صاءق ءسنىى الشىراءى (ءام ظله)؁ ىقول فى إءءى ءلماءه ءوءىهىة القىمة:

(إصلاء المرءمع ورعایة الشءاب بءاءة لءءمل الصعوباء وءرك السلبىاء والسعى المءواصل والءءىر).

المرءمع من ءالة ءءموء للانءلاق

لىس ءفىأ على أءء؁ أن ءطوور المرءمع؁ ونقله من ءالة ءءموء والمراوءة فى ءاء المءان إلى مرءلة مءءءمة؁ ىعء عملاء فى ءایة الصعوبة؁ ءىء ىسءءى بءاءة ءهوء ءءطىء ءءىقة؁ مع ءوافر العواامل الماءىة والمعنوىة والفءرىة لعملىة الاسءناهض والانءقال وءءءىء؁ هءه الأعمال لىس من السهل القىام بها؁ إلا إذا ءانء هءاك إراءة قووىة وءاءة؁ وعازمة على نقل المرءمع وءءىیره من ءال إلى ءال أفضل؁ وفى الغالب ىءون الشءاب هم الوسل المسءءء للءءرىك والاسءءمار.

هءا ءبرز العزىمة لمن ىءطء؁ ولمن هم معنىىن بهذا ءءىیره؁ فالصعوباء وعقباء ءءىیره وءءطوور لىسء سهلة فى أى مءىاس؁ لءلك فإن عءم ءوافر الإراءة وءءطىء والإصرار على ءءنفىء مع ءوفىر عواامل ءءءق؁ ءل هءه لا ىمكن أن ءكون سهلة المنال؁ فهى ءءطلب ءهوءا مءنىة لمن ىءصءى للءطوور؁ وعزىمة لا ءقهر؁ فى هءه ءالة فقط؁ ىمكن للشءاب أن ىءطوورا فى العمل والفءر والمهاراء؁ وىمكن للمرءمع أن ىءطور بعزىمة وإصرار قاءة ءءىیره.

ىسءءهء سماءه المرءع الشىراءى (ءام ظله) بالنص القرآنى ءءرىم: (ىقول القرآن ءءرىم: (إنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) سورة الشورى: الآىة 43.

ثم يضيف سماحته: (إن علماء البلاغة يقولون: الإضافة إلى الجمع يعني هذا ظاهر في العموم. فالعزم من الإنسان، والعزائم من الله عز وجل، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم).

هذه دلالة قاطعة على أن تغيير الشباب لا يأتي دون جهود كبيرة وحثيثة ومستدامة، مع توفير الظروف الملائمة لإحداث التطوير اللازم أو المطلوب، وما أحوج العراق اليوم لشبابه، بل وما أحوج الشباب العراقي لمن يأخذ بأيديهم نحو ناصية التطور من خلال تمهيد الأرضية المناسبة لقدراتهم ومواهبهم.

بعد الإهمال الذي عاناه الشباب في عقود مضت، ونعني بها عقود الدكتاتورية وصناعة الحروب المجانية، وتحويل الشباب إلى حطب لمحرقه تلك الحروب، آن الأوان أن يتغير كل شيء في ظل أجواء الحرية النسبية المتوافرة اليوم، وإن لم تكن مكتملة، لكنها من الممكن أن تشكل حافزا لاستنهاض الشباب، ووضعهم في الصدارة وهي المكانة التي تليق بهم، حتى يسهم شباب العراق في بناء المرحلة التي تضمن تغييرا جذريا يلحق العراق في قطار الدول المتقدمة.

ف طالما أن الظروف باتت مواتية، كما يفترض - في ظل نظام ديمقراطي- وفي ظل رؤية تدعم أولوية التغيير والتطوير، وفي مقدمة ذلك وضع الخطوات التنموية اللازمة للشباب، فقد آن الأوان للتطبيق التنموي الفعلي، وتحويله من مجرد أمنيات أو أفكار مدونة على الورق أو شاشات الحواسيب، إلى واقع ينهض بواقع العراق، ويمنح العراقيين أملا كبيرا في حياة أكثر جدوى وإنصافاً.

يقول سماحة المرجع الشيرازي (دام ظله):

(لم يكن العمل على تربية الشباب ممكنا في السابق - في عقود البعثيين السود- إلا بقليل، ولكن اليوم هذا العمل ممكن مع وجود الحرية، رغم كل السلبيات، ورغم كل المشاكل).

ما المطلوب لتطوير طاقات الشباب؟

لا يمكن النظر إلى تطوير مهارات الشباب على أنها ضرب من المستحيل، صحيح أن واقعنا السياسي

يعاني من مشكلات صعبة، لكن تغيير واقع العراق أمر لا يمكن إهماله أو تجاهله أو حتى تأجيله، نعم يوجد لدينا شباب لم تكتمل عقليته بعد، ولم يصل إلى المستوى الفكري الثقافي المطلوب، وقد يكون مثل هؤلاء الشباب حجر عثرة أمام التقدم والتغيير، ولكن علينا أن نبحث عن الأسباب التي جعلت من هؤلاء الشباب متذمرين، أو متقاعسين!.

إننا على الأغلب لم نقم بما يجب تجاههم، وخاصة الجهات والمؤسسات والمنظمات المعنية بتطوير الشباب واحتضانهم، ولذلك يجب أن تنتبه الجهات (الرسمية، والمدنية) المعنية بتطوير مهارات وطاقات الشباب في العراق إلى هذا الخلل التنموي الجسيم، وعليها أن تباشر بسد الثغرات في هذا المجال، لاسيما أن الشباب العراقي توجد فيه عقول وطاقات متميزة إلى درجة القدرة على التغيير والتطوير.

يؤكد هذا سماحة المرجع الشيرازي (دام ظله) في قوله:

(إنَّ السبب في وجود الشباب الطائشين، وكذلك غير الملتزمين من الشباب، هو أنه لم تتمَّ الحجَّة عندهم، ويوجد بين هؤلاء قابليات كبيرة ومتميزة).

بالطبع في حالة وضع الآليات والخطوات الصحيحة لتنمية الموارد الشبابية الكثيرة في العراق، فإن المجتمع سوف يصبح قاب قوسين من التغيير الذي يلائم ما يجري اليوم في العالم، ولكن هذا المنجز الكبير والحاسم، لا يمكن تحقيقه عبر الأمنيات أو التطلعات وحدها، العمل الجاد هو من ينجز ذلك، حتى الموقف السياسي ضد القمع والتجهيل وحده لا يكفي، وإن أدى ذلك إلى القتل، المطلوب أيضا هو التضحية بالوقت والإصرار على إرشاد الشباب وفتح أذهانهم على ما يصب في صالح التطوير الحاسم.

سماحة المرجع الشيرازي (دام ظله) يقول:

(العراق بحاجة إلى التضحيات، ولا أقصد التضحيات بالرقاب فقط، بل التضحية بالوقت، ومنها الجلوس مع الشباب والاستماع إليهم وإرشادهم).

يقف العراقيون اليوم في مفترق طرق، هذا ما يراه مهتمون وباحثون ومحللون، فأما العودة إلى المربع الأول، أو القفز خارج دائرة التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا لن يتحقق من دون خطوات تنموية شاملة، تبدأ بالشباب كموارد هائلة، ولا تقف عند الشرائح الأخرى، وهذا بالطبع، يقع في خانة الممكن، لكن يحتاج إلى خطوات تنموية موضوعة بإرادة جادة واعية وحاسمة.